نور المثاني تحاور عميد كلية التربية وعضو مجلس التعليم عن بعد بالجامعة:

يلبي التعليم عن بعد الطلب المتزايد على التعلم ويساوي ربع تكلفة التعليم التقليدي

حوار: محمد جعفر نايل

يجب على المسؤلين تحويل مفهوم التعليم إلى رسالة تحل مشكلات الأمة أصبح التعليم عن بعد ضروريًا ومهمًا إذ أنه يوفر فرص الدراسة لكثير من فئات المجتمع المختلفة ويسهم إسهامًا فاعلاً في تنمية الدول وتطويرها في مناحي الحياة كافة وما يميزه أنه قليل التكلفة ولا يتقيد بالزمان والمكان، وفيه حرية، وخيارات متعددة، ويتماشى مع توجه الأمة الإسلامية، ولمعرفة تأريخ التعليم عن بعد ومميزاته والوقوف على تجارب الجامعات السودانية وغيرها و الصعاب التي تقف في طريق النهوض بالتعليم عن بعد ؟ وكيفية تذليلها ؟ نور المثاني جلست مع الدكتور محمد البشير محمد عبد الهادي عميد كلية التربية بالجامعة وعضو مجلس التعليم عن بعد فإلى مضابط الحوار:

التعليم عن بعد لا يقع تحت الإدارة المباشرة للمعلم لتدريس الطلاب

جامعة المستقبل هي التي تحول البحث العلمي لحل المشاكل، وتنمي المنهاج التفكيري لدى الطلاب

□ بداية لو قدمت لنا إضاءة تاريخية للتعليم عن بعد؟

هو من الموضوعات المهمة والتي تلبي الطلب المتزايد على التعليم وهو غير مكلف للدولة ويساوي حوالي ربع تكلفة التعليم التقليدي (النظامي)، وقد انتشر في جميع بقاع الدنيا وأعطى الفرد فرصة الاختيار والتحلل من قيود الزمان والمكان، وذلك لاعتماده على الدراسة الذاتية ومكّن لقطاعات كبيرة من زيادة التأهيل الأكاديمي والمهني وقلل الضغط على المؤسسات التعليمية، والتعليم عن بعد بدأ بالمراسلة ويعتبر من أقدم أنواع التعليم ويعتمد على الكلمة المطبوعة وإرسال المقررات للجهة الدارسة وتقويمها بالامتحان والاختبار، وهذا ما يسمى بالدراسة الخارجية وهو ما تقوم به الجامعات التقليدية من فتح مراكز خارجية كجامعة القرآن الكريم مثلاالتي لها مراكز في السعودية وغيرها ويعتبر نوعًا من التعليم عن بعد واشتهر في كندا وجنوب أفريقيا وأستراليا، وهناك الدراسة المنزلية المستقلة، وهي موجودة بأمريكا، وهي نمط متباين وتعطي استغلالية للعملية التعليمية وتعتبر أمريكا أكبر الدول التي أتاحت التعليم العالي لمواطنيها لاعتمادها على التعليم عن بعد وهناك نظام آخر هو نظام الانتساب ، إن التعليم عن بعد بمعناه الدقيق هو التعليم الذي لا يقع تحت الإشراف المباشر للمعلم لكنه يحتاج إلى مؤسسة للتخطيط والتنظيم والتوجيه مثل نظام جامعة السودان المفتوحة ، ومن الجامعات الأولى في التعليم عن بعد تقريبًا جامعة (يونيسا) بجنوب أفريقيا التي أسست في ١٩٤٦م وبريطانيا وإيران وألمانيا وفي الصين (جامعة الراديو والتلفزيون) وفي العالم العربي جامعة القدس المفتوحة، وتعتبر تجربة عظيمة، وكذلك في اليابان وهولندا، وأصبحت أنماط التعليم عن بعد في جامعات كثيرة، والجامعة المفتوحة هي التي تمارس التعليم عن بعد وتكون مؤسسة لها مبانٍ للإدارة ولتصميم المناهج وتطويرها.

□ حدثنا عن أهمية نشر ثقافة التعليم عن بعد؟

لنشر ثقافة التعليم عن بعد لا بد أن نؤكد أن هدف التعليم عن بعد هدف سام، ويحقق طلب العلم من المهد إلى اللحد، وإن الإنسان لأي سبب من الأسباب لا يستطيع أن ينقطع عن التعليم وإذا أكدنا هذا المفهوم وأنه يتيح الفرصة للإنسان أن يتعلم في أي وضع من أوضاعه، والتعليم عن بعد يتيح الفرص للذين فاتهم التعليم النظامي لظروفهم أو إمكاناتهم وهي فرصة غالية لأي إنسان فاته التعليم ، والتعليم عن بعد يعتمد على وسائط مختلفة (وسائط إعلامية) وهنا للإعلام دور كبير في هذه المسألة وهو أن يبشر بالتعليم عن بعد، وينشر ثقافته.

> ضرورة الاهتمام بالأصالة والمعاصرة في مجال التعليم

□ هل تعتقد أن هناك تجارب حقيقية في التعليم عن بعد أو الانتساب في الجامعات السودانية؟

نعم مثلا جامعة السودان المفتوحة وهي جامعة أساسية وتوضح تجربة التعليم عن بعد وفي جامعة أم درمان الإسلامية وجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، وجامعة النيلين، وجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية هي أمثلة للتعليم عن بعد، والذي يُسمّى بالتعليم الخارجي، وتعتبر تجارب طيبة والحمد لله رب العالمين.

□ أين تقف تجربة جامعة القرآن الكريم ونظيراتها الأخريات من التجارب العالمية؟

كما أسلفت أن الجامعات السودانية اهتمت بالتعليم عن بعد، والذي يمكن تصنيفه في النطاق الخارجي، ويعني ذلك أنها فتحت مراكز للتعليم عن بعد وفي تقديري هو أشبه ما يكون بالانتساب، وأذكر أن مدير الجامعة أطلق عليه الانتساب الموجه لأن الجامعة تزور المراكز وتقدم المناهج وتقوم بالمتابعة أما الانتساب الحر إذا جازت تسميته فالدارس عليه أن يطبق شروط الجامعة المطلوبة ويدرس بطريقته ويأتي للامتحان.

□ ما السبب في أن يكون هنالك تعليم موجه وخارجي فقط؟

أولى الأسباب الأساسية الناحية الفنية عند إنشاء عملية تعليم عن بعد لا بد أن تؤهل المؤسسة القائمين على أمر التعليم عن بعد (قوى بشرية مدربة على التعليم عن بعد، وتجهيز المناهج، وتصميم الكتب، وإعدادها إعدادًاجيدًا، وتقديم العلماء الذين يقدمون هذه المناهج من خلال الوسائط الحديثة المختلفة من (راديو وتلفاز وفيديو وكاسيت وإنترنت ووسائل مطبوعة) ولا بد من التنسيق بين أجهزة التعليم عن بعد وأجهزة الإعلام وأجهزة الاتصال عامة باعتبارها تمثل القناة والوسائط الاتصالية.

□ ما تقييمكم لتجربة جامعة السودان المفتوحة؟

أفتكر أنها أفلحت في كثير من أعمالها ومن أهدافها تأكيد هوية الأمة وتأصيلها من خلال المناهج التي تقدمها وتطبقها وتعمل على تأهيل الطلاب وإعدادهم، ومنحهم الدرجات العلمية، وتسهم في زيادة كفاءة استقلال موارد التعليم العالي البشرية والمادية، وهي مثلها مثل الجامعات تهتم بالخريج من ناحية السلوك والعلم وتهتم بالبحث العلمي والعلاقة مع المجتمع ولكن ميزتها أنها تقدم هذه الخدمات بأقل تكلفة، ومن الأشياء الإيجابية أنها أعدت الكتب المنهجية في مختلف التخصصات، واستفادت من خبرات العلماء في وضع هذه الكتب، ونسّقت مع وزارة التربية والتعليم العام، وعملت على تأهيل أساتذة مرحلة الأساس لمستوى البكالوريوس واهتمت بالوسائط المتعددة وأنشأت محطة إذاعة تعليمية، ولها أنشطة في خدمة المجتمع، واهتمت بالتعليم التقني والفني ورياض الأطفال، وهذا لا يمنع أن تكون هناك سلبيات صاحبت التجربة وهذا وليس في جامعة السودان المفتوحة فقط وإنما جميع الجامعات بها ايجابيات وسلبيات وقد تكون بسبب نقص الإمكانات البشرية والمادية ومن السلبيات ضعف الإرشاد الأكاديمي، وعندها يحدث التساقط والتهرب والهروب من الدراسة ومن السلبيات عملية التقويم والامتحانات وتعتبر مشكلة للتعليم المفتوح لأنها تتطلب نوعًا من السرية وأعداد الدارسين هائلة وموزعة، وهناك عملية التنسيق والتي لم تكن بالصورة المطلوبة هذه هي الأشياء التي يمكن قولها عن تجربة جامعة السودان المفتوحة ورغم ذلك تعد نواة للتعليم المفتوح ويمكن البناء عليها ومعالجة الإعوجاج وإصلاحه، وسد الثغرات ومراجعة المناهج، وتوفير قوى بشرية مؤهلة وإرشاد أكاديمي بطريقة مكثفة، وتطوير للعملية الإدارية، والاستفادة من الوسائط والتقانة بصورة أوسع.

□ قدمت ورقة علمية في مؤتمر النظام التعليمي الثالث عن مدرسة المستقبل، ما أبرز ملامحها؟

مدرسة المستقبل هي التي تعتمد على التعليم الإلكتروني وهي التي تستخدم كل الوسائط الحديثة في عملية التعليم والتي تهتم بالمنهج التفكيري الناقد ويقصد بالمنهج التفكيري استخدام المعلومات لحل المشاكل بمعنى أن يكون الإنسان مطلعًا ولديه كمية هائلة من المعارف والمهارات، وعندما تحدث مشكلة يستدعي هذه المعلومات والسوابق في ذهنه بسرعة ليجد حلولاً للمشاكل التي أمامه، نريد أن ندخل هذا المنهج في الأساس والثانوي والجامعة، ونريد أن يكون هناك ما يعرف بمدرسة البيئة وليس بيئة المدرسة والمقصود بها أن تكون المدرسة ذات ريادة وقيادة، ولها ما يؤهلها، وأن تكون أمام المجتمع في كل شيء، ولن تكون كذلك إلا إذا اهتمت بمعاش الإنسان، الخاص وكذلك الاهتمام بالمتفوقين والنوابغ وتستخدم كل التقنيات الحديثة ويكون التعليم فيها إلكترونيًا.

□ ما مقومات جامعة المستقبل وفقًا للمعايير المعتمدة دوليًا؟

جامعة المستقبل هي الجامعة التي تحول العملية التعليمية لأجل حل مشاكل المجتمع، وهي التي تحول العلاقة بين عضو هيئة التدريس وبين الدارس إلى عملية مشاركة يستطيع الطالب أن يحاور ويناقش ويفتح له المجال، وأن يكون المعلم أي عضو هيئة التدريس معلمًا ومتعلمًا في آن واحد، وفي الوقت الحاضر يكون للطالب مصادر معلومات ومعارف غزيرة جدًا يفيد بها المعلم وإخوانه الطلاب، ولذلك لابد من وجود نظام الحوار والمناقشة والمشاركة ووجود المعلم الذي يتقبل هذا، والمعلم لا بد أن يضع اعتبار أنه يتعلم ويعلم وأن يفهم الطلاب أن هذا العلم الغرض الأساس منه معرفة الله سبحانه وتعالى بأنه علم لحل المشكلات التي تحدث فبالتالي تقوم الجامعات والمؤسسات الحكومية كلها على توجيه البحوث لخدمة المجتمع وحل مشكلاته وهذا ما فعلته الدول المتقدمة باعتبار المعلم معلمًا ومتعلمًا والمناهج التفكيرية الناقدة جزء من مناهج الجامعات وطريقة التشارك والتحاور والمناقشة وجامعة المستقبل تهتم بالعملية التقويمية سواء أكان تقويمًا ابتدائيًا أم مستمرًا أم تقويمًا للطالب والمعلم أم تقويمًا للبيئة التعليمية والمنهج وأن يكون تقويمًا تعاونيًا وشاملاً.

> عملية التقويم والامتحانات تعتبر مشكلة للتعليم المفتوح

□ ما أبرز المشاكل التي تواجه التعليم عن بعد والمقترحات الكفيلة بتجاوزها من وجهة نظرك؟

أول مشكلة هي عدم انتشار ثقافة التعليم عن بعد ويجب أن تجد مقومات التعليم عن بعد الاهتمام من إعداد للكتاب المنهجي والاشتراك في الوسائط التعليمية واستخدامها وتوظيفها لعملية التعليم عن بعد، وتوفير الإمكانات، ونشر الثقافة يجعل القناعة متوفرة عند الدارسين، ويجعل المؤسسة ظاهرة للمجتمع، ويستطيع تقويمها وإصلاح إعوجاجها في كل وقت، وهذا يحقق شورى التعليم وحرية الإنسان وتحرره في التعليم ، وتحرير الإنسان من عبادة الإنسان إلى عبادة الله لا تتحقق إلا إذا أطلقنا العنان للتعليم عن بعد وأعطيناه المقومات الأساسية والاستفادة من الخبراء في المناهج، وطرق التدريس، والعملية الاتصالية، ووجود الجسم الذي يخطط ويهتم بالعملية التعليمية.

□ ما أثر تقنيات التعليم على دور المعلم؟

لها أثر كبير كلما استطاع المعلم استخدام التقنيات بصورة صحيحة سهل عليه أن يوصل بها المادة لتلاميذه ، وكلما زادت المصادر التعليمية لديه، أصبحت لديه كفايات ذاتية اجتماعية وثقافية وتعليمية ومعرفية ليست كافية، وكذلك لا بد أن تكون لديه كفايات ذاتية. ونقصد بها تطوير المعلم لنفسه بالاطلاع والتدريب على الوسائل التقنية الحديثة ويستطيع أن يعدد مصادر المعرفة وأن يجلب لنفسه كثيرًا من المعارف.

□ يعتقد كثيرون أن استخدام التقنيات في التعليم يؤثر على القيم والأخلاق ماذا ترى؟

القيم والأخلاق هي سلوك في البشر تتأثر بالمؤثرات الموجودة سلبًا وإيجابًا وحقيقة عند الحديث عن التأثير التقني نتكلم عن العولمة والعولمة لها سلبيات وإيجابيات فمن إيجابياتها زيادة مصادر المعرفة وسهولة توصيل المعلومة للإنسان ونشر التعليم عن بعد وهذه إيجابيات كبيرة جدًا يجب أن يستفاد منها وسلبياتها ما يظهر في بعض البرامج المتعلقة بالجنس والممارسات غير الطيبة ، والتشفير ما عاد المعالج لها وإنما المعالجة الأساسية بالنسبة لها هو تمكين الدارس من التربية الإسلامية الصحيحة معرفة وممارسة. التي كما يقولون هي التي تهتم بما هو موجود في العصر وألا تفارق الأصل (أصالة ومعاصرة).

□ كلمة أخيرة ورسالة لمن توجهها؟

أوجهها للمسؤولين في الدولة والمسؤولين في التعليم العالي والمسؤولين في كل مكان عن التعليم ونحن أناس جعلنا الله سبحانه وتعالى في حقل التعليم، فلذلك نرجو الاهتمام بالعملية التعليمية والطالب، والمعلم، والمنهج، والبيئة التعليمية، ولا بد من الاهتمام بتطوير المناهج حتى نستفيد من السرعة والتسارع الموجود في العملية الاتصالية، بالإضافة إلى أن تعالج بعض المشكلات التي تظهر في المجتمع وأن نحول مفهوم التعليم من أجل التعليم إلى تعليم يخدم رسالة الأمة ويحل مشكلاتها المختلفة.

نبذة مختصرة عنه:

تخرج في جامعة الخرطوم كلية التربية تخصص كيمياء وأحياء وعمل مدرسًا بالمراحل الثانوية بالسودان والسعودية، وحصل على الماجستير من جامعة أفريقيا العالمية بإمتياز والدكتوراة من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بإمتياز كذلك وعمل في اتحاد طلاب جامعة الخرطوم إبان دراسته، وعمل مديرًا لعدد من الإدارات والمراكز ووزيرًا للشؤون الاجتماعية والثقافية بالولاية الشمالية وأمينًا عامًا لمستشارية التأصيل ووزارة الثقافة والإعلام ومديرًا عامًا لهيئة الحج والعمرة ومديرًا لمركز بحوث القرآن الكريم بالجامعة ويعمل الآن عميدًا لكلية التربية وله عدد من الكتب والمؤلفات والبحوث وأشرف وناقش عددًا من الرسائل العلمية ماجستير ودكتوراة، وشارك في عدد من المؤتمرات الداخلية والخارجية وهو أستاذ مشارك بالجامعة منذ ٢٠٠٦م .